ملف العدد:

هيدغر

هيدغر: قراءة رورتية

*
أ.دمحمد جديدي

So for us Heidegger's writings are not a conduit through which we can hear the voice of Being. Rather, they are a toolboxThey are the receptacle in which Heidegger deposited the tools that he invented at various times to accomplish one or another project.

R. Rorty, Philosophy and social hope, P.191.

تمهيد وتساؤل:

لماذا أعجب رورتي بهيدغر وكيف قرأه؟ وهل قرأه كما كان راعي الوجود يشترط أن يقرأ نصه ويفهم؛ وبالتالي يرهن قارءه بشروط أولية (تجعل القارئ قبليا منبهرا بقيمة النص الهيدغري ليس بعد الاطلاع عليه واستيعابه بل قبل ذلك ودونه) وعلامات تحدد درب القراءة، أم أنه تجهز بمرآة يتفادى بها إشعاعات هيدغر الأسرة؟ بعبارة أخرى، بأية أداة تمت قراءته له وهل كانت بـ "نظارات "وعيون براغماتية تشخصت عبر ديوي أم ضمن قراءة متنوعة أمريكو-أوربية؟ وهل في محاولة رورتي القيام بمحادثة كبيرة بين ضفتي المحيط ما يدفع إلى اعتبار هيدغر وفيتغنشتاينودريدا أهم العناصر الأوربية في هذه المحاورة ذلك ما ستحاول هذه الورقة الإجابة عن بعض هذه التساؤلات.

إشارات لابد منها:

- لا بد من الإشارة إلى أهمية هيدغر والنص الهيدغري في الفلسفة المعاصرة عموما وقيمته الكبيرة سواء عندما من تأثروا به كفلاسفة الاختلاف دولوز **Deleuze**ودريدDerrida خاصة أو عندما انتقدوه وجعلوه منطلقا لفلسفاتهم كالوضعيين المناطقة مثل كارناب Carnap بشكل خاص.

- لا بد من الإشارة إلى أن النص الهيدغري في ذاته يعد نتيجة لسياق ثقافي وليس نصا مستقلا وهو بمثابة حصاد لاستراتيجية ثقافية بدأت مع الفيلولوجيين والفلاسفة (شلايرماخر Schleiermacher وهوسيرلHusserl) والمتصوفة واللاهوتيين (إيكهارت Eckhart) والرومانسيين والشعراء (هولدرلينHölderlinونيتشهNietzsche).

- تلقي هيدغر واستقبال فلسفته في الولايات المتحدة وروورتي حلقة هامة في هذا التلقي وربما بهذا الشأن يطرح سؤال جدير بالاهتمام حول سفر النص وترحاله حتى وإن كان الفيلسوف لم يترحل إلى موطن تلقي فلسفته.

- لابد من الإشارة إلى كيفية تعرف روورتي على هيدغر وعلى نصوصه الفلسفية وتأثره به من خلال قراءة مرحلية كانت على ثلاث مراحل أساسية ينقلها غروس عن روورتي في محاضرة له بجامعة ستانفورد سنة 2001.

يشير نيل غروس[1] Neil Gross **في كتابه** Richard Rorty : The Making of An American Philosopher (كتاب صدر سنة 2008، بعد وفاة روورتي بسنة تقريبا) أن النضج الفلسفي لروورتي تبدى وهو طالب بالجامعة (جامعتي شيكاغو وفيما بعد يال)[2]. يقول روورتي في أحد حواراته: "قرأت نيتشهوأفلاطون في عمر المراهقة، وأردت أن أقرأ أكثر حول هذين الفيلسوفين فالتحقتبالجامعة حيث كانت الفلسفة اختصاصاً يجذب كثيراً مما شجعني على دراستها وقرأت هايدغروديوي وفيتغنشتاين وتخصصت في "تاريخ الفلسفة."[3]

لقد أجمل **غروس**Gross قراءةروتي لـ هيدغر في مراحل ثلاث هي:

<u>المرحلة الأولى:</u> ففي وقت مبكر حيث كان يميل إلى التاريخانية، التعددية، والبراغماتية قبل أن يحتك بأعمال توماس كون، ميشال فوكو ومارتن هيدغر. هذا الأخير الذي بدأ يتعرف على بعض نصوصه بحكم طبيعته ومزاجه الباحث عن الجديد والمختلف الذي قد ينعش الحركة الفلسفية الأمريكية لاسيما بعد ترأسه للجامعية الفلسفية الأمريكية - فرعها الشرقي

- سنة 1977، يتحدث غروس عن المراحل بدءا بمرحلة أولى كانت عبر هيبردريفيس وتأويلاته عن الفيلسوف الجرماني، أي عن هيدغر في الأجزاء الأولى من كتابه الكينونة والزمان والتي سعى فيها إلى إعادة فحص التراث الفلسفي الغربي. وفي الحقيقة هذه القراءة تعود إلى أواخر الخمسينيات عندما ترحل رورتي من خلال ترجمة مستنسخة للأجزاء الأولى من كتاب الكينونة والزمان. وربما هذا ما أثمر محاولته سنة 1974 في قراءة جمع فيها ديوي وهيدغر.

<u>المرحلة الثانية:</u> عندما استبدل هيدغر: التحليل الوجودي بهيدغر مقدمة للميتافيزيقا، وفيها رأى رورتي منجذبا أكثر نحو التأويلات الجذرية لتاريخ التراث الغربي وامتدت هذه المرحلة طيلة الثمانينيات وهي ربما التي طمح أثناءهارورتي إلى تخصيص كتاب لهيدغر.

<u>المرحلة الثالثة:</u> وفيها ربما سيبتعد رورتي عن هيدغر ليقترب أكثر من ديوي ، فهيدغر لا يمثل سوى رؤية متشائمة ليست حرية بالمجتمع الليبرالي الديمقراطي وبحثا عن عدالة اجتماعية في هذه المرحلة وبعد صدور سنة 1991 في الأعمال (الأوراق) المجمعة **collectedpapers** بدا ديوي هو الوجه الأكثر تأثيرا على خيال رورتي وقد عمل على محو صورة كل من فتغنشتاين وهيدغر.

-أهمية هيدغر للنص الرورتي: يتبين لنا التأثير الممارس من قبل هيدغر على النص الرورتي ليس فيما صرح به رورتي ذات علنا بل في ثنايا كتاباته بدءا من مقارنته الأولى التي جمع فيها بين ديوي وهيدغر ومرورا إلى الأثر الذي تركه هيدغر على كتاب رورتي الرئيس الفلسفة ومرآة الطبيعة وبعد ذلك كتب رورتي الأخرى ومقالاته التي يشكل ضمنها العنصر الهيدغريآداة لا غنى عنها لفهم محتوى النصوص الرورتية.

-القراءة البراغماتية لـ هيدغر: يوضحها رورتي من خلال تناقض يشير إليه في بداية كتابه: **محاولات حول هيدغر وكتابات أخرى**، **Essays onHeidegger**

and otheressays [في الفصل المعنون: هيدغر، البراغماتية ومسألة العارضية (المصادفة)] حيث يشير إلى أن من بين المعالم الغريبة لفكر هيدغر الثاني فيما يؤكد عليه لما يقترح أنه إذا انطلقنا من دوافع وافتراضات أفلاطون فسنصل بالتأكيد إلى شكل من البراغماتية، حتى وإن وافق رورتي على هذا الطرح إلا أنه وكما يرى في حال تأويله تأويلا مناسبا يعتقد بأن الأشياء تنتهي بشكل جيد مع البراغماتية خلافا لهيدغر الذي يبدي خصومته مع البراغماتية.

Par contraste, le pragmatisme peut –être défini comme la position qui attribue à la recherche , selon les mots de Bacon, la fonction de « faciliter la condition de l'homme et de lui apporter des bienfaits » son but est de nous rendre plus heureux en nous donnant les moyens de faire face, avec plus de bonheur, à l'environnement physique et aux autres. [4]

لذا فرورتي يبدي قبولا للقيام بلعبة مع هيدغر دون التماهي كلية مع الفكر الهيدغيري.

وحسب تأويل رورتي لموقف هيدغر، فمن ينطلق من مقدمة أفلاطون في البحث المرتبطة أو الداخلة في علاقة بشيء ما مثل الوجود، الخير، الحق،أو الواقع شيء لا يستطيع شيء آخر أن يشمله بل هو واسع وقوي سينتهي حتما إن آجلا أو عاجلا لتبني موقف بيكون أي البراغماتي الذي يدعم به رورتي تصوره [من حيث أنه يسعى في كتابات أخرى إلى تبني خط فلسفي يبدأ من بيكون ويمتد إلى ديوي وليس ذلك الذي يبدأ مع ديكارت وينتهي ربما مع سارتر أو باشلار] فحتى الأفلاطونية في عرف هيدغر ما هي إلا براغماتية مضمرةun pragmatisme implicite

إن الفلسفة في تاريخها تروي قصة الغرب (تاريخ الغرب) [5]، هذه القصة التي ربطها هيدغر بالفلسفة لم تستوعب الوجود الإنساني في يومياته وأنها استنفذت جميع إمكاناتها فمن اليونان إلى أمريكا ظل الغرب رهين

تصوروتأويل تقني للفكر نسي في خضمه الوجود وللتغلب على هذه الأزمة ينبغي التحرر من التأويل التقني للفكر. ذلك ما نقرأه في نص رورتي:

Cette histoire condensée de la philosophie occidentale s'étend de la conviction, propre aux Grecs, selon laquelle l'objet de la recherche réside dans la saisie d'*archai*, de principes, de choses plus grandes et plus puissantes que l'existence humaine quotidienne, jusqu'à la conviction américaine qui subordonne la recherche à l'invention technologique et à la possibilité de placer les choses sous notre contrôle. Pour Heidegger, ce catalogue d'abréviations des « compréhensions de l'être » des philosophes est un escalator descendant. Une fois que l'on a mis les pieds dessus, il n'est pas possible d'en descendre avant d'avoir atteint le bas. Si vous commencez avec Platon, vous finirez avec Nietzsche, et pire encore avec Dewey.

Heidegger soutient que si l'on veut comprendre ce qui se passe au bas de l'escalator, au XXe siècle, c'est-à-dire à l'âge où la philosophie a épuisé ses possibilités, « nous devons nous libérer de l'interprétation technique de la pensée ». Les débuts d'une telle interprétation, selon lui, « remontent à Platon et Aristote ».[6]

ميزة هيدغر:

في حوار معه حول نظرته للفلسفة أجاب رورتي بأنها تمثل بالنسبة إليه:

" فرع منتاريخ الفكر ولها موقف محدد في الجدال وليست علماً صرفاً. إنها تفكير خاص حولالمتغيرات الآنية. أما قائمة الفلاسفة فتضم أشخاصاً اقترحوا طرقاً جديدة للتفكيروالكلام متأقلمة مع التطورات المستجدة. فمنذ غاليليو و إعادة اكتشاف أرسطو في القرنالثاني عشر، فضلاً عن نظرية داروين والتغييرات الكبيرة في الثقافة والأدب العلوموالتغيير الديموقراطي، نحن في حاجة إلى أشخاص يصوغون المفردات على نحو جديد مختلفعن ذاك الذي يسبق التغيير. أما الذين يقومون بهذا العمل في نجاح فيصنفون بالتالي فيخانة الفلاسفة الكبار." [7]

وبالطبع فإن هيدغر واحد من هؤلاء الفلاسفة الذين باستطاعتهم تغيير مسارات الثقافة عامة والأهمية الكبيرة التي يعطيها رورتي إلى مارتن هيدغر Martin Heidegger، ويعده على إثرها واحدا من أكبر ثلاثة فلاسفة في القرن العشرين،ترجع إلى دوره الرئيسي في« تخليصنا من التأويل التقني للفكر» [8] الذي تمتد جذوره بحسبه في تاريخ الفلسفة الغربية إلى الإغريق أين تكرست الفكرة الباحثة عن الإمساك بـ "الأركاي" archai غير أن هذه الحقيقة التي يبرزها فكر هيدغر لا تصل إلى منتهاها بمثل ما أن مشروع نيتشه لم يجد سبيله إلى الاكتمال وربما يكون دريدا هو الحلقة الأخيرة في هذه السلسلة من نزع الحجب وإماطة اللثام عن غشاوات فلسفية ما فتئت تترسخ كأساطير قديمة رفضتها الفلسفة في سابق عهدها لكنها شيئا فشيئا عادت لتجعل من تقاليدها أساطير جديدة . لقد عمل أحد تلامذة هيدغر وهو هربرتماركوز Herbert Marcuse على تحليل هذا التأويل التقني للفكر الذي حذر منه هيدغر وشخص ما انتاب المجتمع الغربي من طغيان للعقلانية التكنولوجية الناتجة عن الإفراط في هذا التأويل التقني للفكر وما أفرزه هذا النوع من العقلانية من مساوئ وسلبيات ليس على الطبيعة فحسب بل على الإنسان نفسه بحيث انتقل نزوع هيمنة الإنسان على الطبيعة إلى نزوع في هيمنة الإنسان على الإنسان وهو الأمر الذي كان محل فحص وتشخيص فلسفي من لدن فلاسفة الاختلاف (فوكو، دولوزودريدا بتأثير من هيدغر).

لقد تأتى رورتي إلى هيدغر عبر دريدا وذلك عندما وجد تشابها بين الانتقادات الموجهة صوب الديكارتية من قبل ديوي، هيدغر وفتغنشتاين. وفي تلك اللحظة يقول رورتي« بدأت الأشياء تجتمع في ذهني، وتبيّن لي أنه عثرت على السبيل التي بها يمكنني الجمع بين نقد التقليد الديكارتي بالنزعة التاريخية الهيغيلية لـ ميشيل فوكو Michel Foucault، إيان هكينغ Ian Hackingو ألستير مالكإنتير Alastair MacIntyre. اعتقدت إذن أنه من الممكن ترتيب كل هذا ضمن تاريخ شبه هيدغري حول التوترات داخل النزعة

الأفلاطونية.»[9] في الواقع، إن ما يحبذه رورتي أكثر من أي شيء آخر في شخصية هيدغر هو هذا النقد الموجه للديكارتية والذي يعدّ بمثابة عامل مشترك مع الفيلسوفين الآخرين فتغنشتاين وديوي وكذلك هذا التوجه الهيدغري لتقويض أسس الثقافة الغربيوتفكيك عناصرها الإبستيمولوجية ولكن من دون الذهاب بعيدا في هذا المنحى التدميري.

ولهذا يعتبر هيدغر في أعين رورتي حلقة وسطى بين نيتشهودريدا. ذلك أن هذا الأخير يمثل بالنسبة إلى هيدغر ما يمثله هيدغر بالنسبة إلى نيتشه، فكل واحد منهم هو القارئ الأكثر ذكاء والناقد الأكثر تدميرا لسابقه.[10] هيدغر أيضا بالنسبة إلى رورتي مثل فتغنشتاين لا يمثّل فلسفة واحدة، وإنما يجسد تصورين فلسفيين. هذه المماثلة بين الفيلسوفين في المنحى الفكري والتشابه من حيث نقاط الانطلاق والوصول على المستوى الأداتي يقابلها كذلك تشابه في الاهتمام بموضوع واحد سيصبح مركزيا لدى كل واحد منهما على الرغم من الاختلاف البيّن في كيفية المعالجة وفي الأسلوب المنتقى لتناوله. فحسب رورتي الفيلسوفين عرفا تقاطعا فلسفيا في مسارهما من حيث أن منطلق الأول يعتبر منتهى للثاني والعكس صحيح.

إن التصور البراغماتي للغة الذي انطلق منه هيدغر هو ما انتهى عنده فتغنشتاين بمثل ما أن منتهى هذا الأخير يعد منطلقا لـ هيدغر. لهذا يَعتبر رورتي أن هيدغر الأول يقابل فتغنشتاين الأخير وفتغنشتاين الأول يقابل هيدغر الثاني. غير أن هذا الجزء البراغماتي في فلسفة هيدغر لم يشفع له عند رورتي فيفضل عليه ديوي ذلك أن موقف هيدغر من الغرب اتخذ سبيله من تاريخ الفلسفة وحينما اعتقد أن الفلسفة استنفذت كل طاقاتها فهذا يؤدي بالضرورة إلى أن الغرب أيضا استهلك كل ما عنده لأن تاريخ الغرب في نظره يعد بمثابة السلم الكهربائي تمتد أدنى درجاته من أفلاطون وتنتهي عند ديوي لكن بمجرد أن يضع الإنسان قدميه في ذلك السلم سيجد نفسه لا محالة أمام ديوي.

إن هذا التاريخ الفلسفي المتصور في عرف هيدغر هو التاريخ الأوربي بوصفه مشروعا لتاريخ الوجود بوصفه ميتافيزيقا وهو ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هيدغر لم يتخل عن طموحه ببلوغ هذه المرحلة التي تسمح له بالانخراط في مسار التاريخ كونه هو نفسه حدث حاسم بالنسبة لتاريخ الوجود وهذا ما لم يكن موجودا عند فيلسوف براغماتي مثل ديوي حسب رورتي الذي يقول:« إن البراغماتيين مثل ديوي يأملون في أن تبلغ الأشياء نهايتها، لكن مفهومهم للعارضية لا يسمح لهم بكتابة روايات درامية على أي سلم كهربائي كان، صعودا أو نزولا. إنهم يمثلون رسما توضيحيا للفضيلة التي ينشدها هيدغر، والتي لم يكن بمقدوره هو أن يمارسها.» [11]

ليس هناك من شك في أن موقف رورتي هذا من هيدغر يطلعنا على ازدواجية في التقدير والحكم فهو من ناحية يجعل من فيلسوف الوجود واحدا من أبرز الفلاسفة المعاصرين لأنه وإن كان مثل فتغنشتاين وديوي قد عاشوا وفق ما يسميه بالفلسفة الهامشية [12] وساهموا في مناهضة الفلسفة النسقية، فهؤلاء في اعتقاد رورتي«هم المفكرون الثلاثة الكبار الهامشيين والمنشئين لزماننا[...] كل واحد منهم عمل كل ما في وسعه حتى لا يتم تأويل أفكاره وكأنها أجوبة لمشاكل فلسفية تقليدية أو بكونها تساهم، من خلال قضايا بنائية، لجعل الفلسفة فرعا أو أفقا معرفيا للتعاون والتقدم.»[13]

لكن في المقابل، نجد انجذابا واضحا وصريحا من رورتي نحو ديوي في مفاضلة غير موزونة مع هيدغر حيث يتخلى فجأة رورتي عن توجهاته الأدبية المعلنة لصالح التطلعات السياسية التي يلتمسها عند ديوي بل إنه يصرح أن قراءاته لـ هيدغركانت بعيون ديوية وفي هذه القراءة لا يشعر رورتي بالندم أو بتأنيب الضمير ذلك أن هيدغر نفسه مارس تطويعا قسريا لفكر الآخرين وهو الذي كان يدّعي استعداده لمد أذنا صاغية لصوت الكينونة، لقد« تجاهل هيدغر من دون تردد، أو أنه أعاد تأويل عنيف،

لعدد من صفحات أفلاطون ونيتشه مع تقديمه لنفسه على أنهإنسان ينصتباهتمام إلى نداء ال كينونة، مثلما يمكن أن نسمعه في كلماتهم.»[14] والحقيقة أن هيدغر قدم إجابته الخاصة حول بمسألة تصور وتحديد العلاقة مع التقليد الفلسفي الغربي وهي إجابة شاعرية تضاف إلى إجابتين أخريين بحسب رورتي قدمتا في القرن العشرين واحدة علمية وتعود إلى هوسرل والأخرى سياسية وتعود إلى ديوي.

وحسب هيدغر فالمفكر الفلسفي هو الوجه الوحيد الذي يتموقع في نفس المستوى مع الشاعر. وهيدغر يدير ظهره للعلميين ملتفتا ناحية الشعراء. [15] وهذه الحركة منه تعتبر رد فعل ضد الإجابة العلمية.

لقد وجد رورتي عند هيدغر وعند وجوه ثقافية أخرى من خارج الحقل الفلسفي ما سعى إلى تأكيده في جعل الثقافة أكثر شاعرية، وفي جعل الفلسفة صوتا مثل بقية الأصوات داخل إطار المحادثة الإنسانية كالأدب والتاريخ والفن.

وأكثر من هذا فقد التمس رورتي من وجودية هيدغر وسارتر والوجوديين الآخرين مرتكزا لهدم الميتافيزيقا وللفرار من التعلق الشديد بالماهيات والجواهر ومن ضيق الضابط العقلي ونزعات التعالي اللا تاريخية التي ملأت سماء الفلسفة، من حيث أن« الوجودية أقرب الفلسفات إلى الشعر؛ والشعر أقرب الفنون إلى الوجودية. فالشعر والفلسفة صورتان للتعبير عن الوجود: إحداهما للتعبير عن الإمكان، والأخرى للتعبير عن الآنية.» [16] وفي اعتقاد رورتي فإن هيدغر حينما يوجه أنظارنا إلى الوجود بسؤاله: ما الوجود ؟ فإنه لا يرغب من وراء ذلك تنبيهنا إلى موضوع مهمل بقدر ما يرغب في إطلاعنا على ما يميّز البحث عن الشعر. وسؤال الوجود ليس هو السؤال عن زهرة الكرز. إن الجواب عنه يشبه الكفاح من أجل السلطة وقبول العارضية وعدم الإفلات من الزمان والبحث عن الأبدية على الطريقة الأفلاطونية و بالأحرى فإن هدفه إفهامنا ما هي صورة الثقافة

عندما يكون نموذج النشاط الإنساني داخلها هو الشعر بدلا من الفلسفة.[17]

لكن رورتي لا يساير هيدغر في هذه الشاعرية المفرطة ويُبقي على شيء من الجانب الاجتماعي الذي أخذه وورثه عن ديوي وبالتالي فهو وإن قبل مثل بقية البراغماتيين أن يكون المفكر والشاعر هما المشرعين المجهولينللمحيط الاجتماعي فإنه لا يجعل هذا المحيط الاجتماعي موجودا للشاعر والمفكر كما يظن هيدغر بل العكس هو ما يراه البراغماتي.[18] وهنا في هذه النقطةبالذات يفترق رورتي عن هيدغر وينسحب ليلتحق بـ ديوي وهو ما يفسر كيف أصبح هيدغر عرضيا نازيا لكن في المقابل نجد ديوي بالأساس ديمقراطي– اجتماعي.

من هذا المنظور يريد رورتيو البراغماتي الذي يتكلم باسمه أن يضع حدا فاصلا بين الفكرة التي يشترك فيها كل من هيدغر وأدورنو وعدد كبير من المثقفين الماركسيين والتي ترى أن الظاهرة المسماة " الحداثة " تتضمن في وقت واحد الديمقراطية البرجوازية والتوتاليتارية، التي تسمح لنا بالحصول على معرفة فلسفية مثل التي تميّز شكلّي الحياة الاجتماعية المذكورين.

هنا أيضا يرى رورتي أن هيدغر لا يأخذ التاريخ الغربي بالجدّية الكافية ويرفضما تبلور خلال هذا التاريخ من مؤسسات وأخلاق وتقليد سياسي في حين أن البراغماتي مثل ديوي و رورتي– لا ينظر إلى التقدم، السعادة للكل، الثقافة والحضارة على أنها تندرج ضمن قائمة عالم ما فو الحس، الأفكار، الإله الواجب الأخلاقي سلطة العقل وما إليها، إن البراغماتي يتمسك بجماعته الديمقراطية ولا ينفر منها ويظل محتفظا بما استخلصه من دروس للفلاسفة السابقين والحاليين لصالح مجتمعه. بمثل ما يتفق البراغماتي مع هيدغر وهوسرل على الاعتراف بأن عصر التكنولوجيا العلمية وعقلانية التفتح والحرية ينبغي أن تتيح للجماعة الديمقراطية من أن

تتحكم أكثر وتصبح سيدة العقلانية التكنوقراطية بدلا من أن تكون خاضعة لها وتحت سيطرتها.[19]

على الرغم من الاعتراف والتقدير اللذين يكنهما رورتي لـ هيدغر ويسمو به إلى الدرجات العلى في سماء الفلسفة المعاصرة، إلا أنه يرفض تصوره الذي ينأى فيه هيدغر بنفسه إلى منتهى تاريخ الغرب ليعتبر نفسه الحلقة الأخيرة في هذا التاريخ من خلال إعطائه للغة جوهرا يتحدد به موضوعها. لقد عدّ هيدغر نفسه الوحيد من يمكنه النفاذ إلى أعماق هذا الجوهر وهذا ما لا يوافقه عليه رورتي. ومع ذلك فإن قراءته لتاريخ الفلسفة ومحاولة تجاوزه للميتافيزيقا الغربية تستمد بعضا من مشروعيتها من نفس التصور الهيدغري وقد تجلى ذلك لدى رورتي من خلال إرشاده لمحترفي الفلسفة إلى أن أفضل طريقة لفهم التطور الجدلي هي إقامة رابطة بين أعمال الفلاسفة الكبار ولعل جزء من هذه الرابطة هو ما نقرأه في علاقة رورتي بفيلسوف آخر هو لودفيغفتغنشتاين.

<u>رؤية نقدية</u>

في الأخير أود أن أشير إلى أن ما قدمته في مداخلتي عن هيدغر: قراءة رورتية لا يعدو كونه قراءة داخل قراءة أي قراءتي لقراءة رورتي ربما لقراءة هيدغر لنصوص فلسفية أخرى وهي سلسلة من القراءات قد لا تنتهي.

لقد أبدى رورتي قبولا للقيام بلعبة مع هيدغر تتمثل في قراءة براغماتية لنصوصه ولكن بتأويلها ضمن مقاربة نقدية متفتحة منهجيا ومتسامحة معرفيا حتى لا تكون متناقضة مع إقرار رورتي بالمكانة الكبيرة لهيدغر وللملامح البراغماتية التي تحملها فلسفة هيدغر لا سيما في بداية نصه الكينونة والزمان وكذا ليحافظ رورتي على جانب من الاستقلال الفكري إزاء النص الهيدغيري. يقول :

Dans cette étude, je m'efforcerai de dégager jusqu'à quel point un pragmatiste peut entrer dans le jeu de Heidegger, pour essayer ensuite de déterminer le point à partir duquel il lui faut s'en séparer.[20]

يصرح رورتي في قراءته الذاتية لـ هيدغر والتي استلهم واستعار فيها بعض الأدوات والمواد الفلسفية من أستاذه ديوي بيد أنه يرى أنه قرأه كأي قارئ بل وكما قرأ هيدغر الفلاسفة الآخرين وبشيء من النقد العنيف – في اعتقاد يقول رورتي:

Je n'ai aucune raison d'en ressentir de la culpabilité ou de l'ingratitude. Heidegger ignore sans scrupule, ou réinterprète violemment, un bon nombre de pages de Platon et de Nietzsche tout en se présentant lui-même comme quelqu'un qui prête une oreille scrupuleusement attentive à la voix de l'Etre, telle qu'on peut l'entendre dans leurs mots. [21]

يندرج هذا الطرح بالأساس في موقف رورتي من التأويل – لذا أعتبر قراءته تأويلية – وضمن هذا التأويل وخاصة السيّء المثير للجدل تصنع شهرة الفيلسوف كما تشير إلى ذلك سيفرين دينيول SéverineDenieul22 في مقالها "أسباب الافتتان: هيدغر، تلقيه وورثته " Les raisons d'une fascination : Heidegger, saréception et seshéritiers مستوحية فكرتها من توم روكمور 23 وحيث أن شهرته تعود في جزء كبير منها إلى ما خلفته أفكاره ومواقفه لا سيما السياسية منها من تأويلات متباينة وأخطاء ، سواء كان ذلك في فرنسا أو في أمريكا أو في غيرها من البلدان التي كانت فيها لهيدغر حظوة كبيرة.

لقد نظر رورتي للتأويل على أنه استعمال للنصوص – وهذه واحدة من النقاط الخلافية بينه وبين إمبرتو إيكو – غير أنه من الصحيح القول مع رورتي أن أية قراءة لنص فلسفي ما ومهما كانت فهي لا تخلو من الاستعمال l'usage بمعنى توظيفه أو قراءته قراءة مغرضة – ولكن هل توجد قراءة غير مغرضة؟ كرد على من يعترض على هكذا قراءة- حسب عبد الفتاح

كيليطو-، كل قراءة تكون بغرض ما، بهدف ما وبقصد وكأننا بها وعن طريقها نتقاسم النص مع صاحبه ونشاركه بعضا مما يكتب بل وأكثر من هذا وكأننا نريد من صاحب النص أن يكتب ما يتماشى مع رغباتنا وطموحاتنا، مع ما يساير تراثنا وتاريخنا، مع ما يتوافق مع همومنا ومشكلاتنا وإلا وجدنا بداخلنا – أو هكذا يخيّل إلينا أننا نسعى لإيجاد مشروعية لما نعجب به ونثق فيه من نصوص.

بهذا يحملنا رورتي إلى نوع من النسبية الثقافية والتي أعتقد أنه وإن عثر عليها لدى هيدغر إلى أنه لم يسعفه هذا الأخير في خاتمة فلسفته كما كان في بداية نصه الكينونة والزمان يشكل جزءا من براغماتية رورتي ولبنة أساسية من لبنات فلسفته ما بعد حداثية ذلك أن هيدغر الذي سعى إلى تقويض تاريخ الغرب عبر فلسفته رأى في نهاية المطاف نفسه الوحيد الذي بمستطاعه النفاذ إلى ماهية هذا الغرب وهذا بالتحديد ما أنكره رورتي على هيدغر وكان من أسباب تباعد وتماسفالفيلسوفين بل واقتراب رورتي أكثر فأكثر من ديوي بدل هيدغر وهو الذي بدأ بقراءة وبمسافة متوازية بينهما في بداية مشواره الفلسفي.

« Si je préfère Dewey à Heidegger, c'est parce que je suis convaincu que Heidegger désirait une chose … qu'il n'a cessé d'avoir sous le nez. » 24

هل يعني هذا أن لهيدغر ازدواجية في خطابه الفلسفي وفي الوقت الذي كان يرى فيه إمكانية قراءة تاريخ الغرب في ميتافيزيقاه التي عمل على تقويضها لأنها استنفدت شروطها وبالتالي استنفد الغرب أيضا إمكاناته وبأن العالم الغربي الماثل أمام ناظريه ما هو إلا وليد عارضية الوجود كما أنه بدعوته إلى الإنصات لصوت الوجود غير أنه هو نفسه كان يعلم أنه لم يرغب في سماع سوى أنه الموقف الحاسم في تاريخ الوجود وكما عبر عن ذلك دريدا أمل هيدغر هو الوجه الآخر لحنينه :

cet espoir de Heidegger lui-même, sa pensée apparaissent comme un événement décisif dans l'histoire de l'Être. [25]

وأختم بموقف يلخص موقف رورتي يقول فيه :

Les pragmatistes comme Dewey espèrent que les choses puissent bien tourner à la fin, mais leur sens de la contingence ne leur permet pas d'écrire des récits dramatiques sur quelque escalator que ce soit, qu'il monte ou qu'il descende. Ils sont l'illustration d'une vertu que Heidegger prêchait, mais qu'il fut lui-même incapable de mettre en pratique.[26]

*** أستاذبقسم الفلسفة، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2**

لمراجع :

1- نيلغروسNeil Gross أستاذ علم اجتماع في جامعة كاليفورنيا الجنوبية وأستاذ زائر بجامعة نيويورك وهو من أهم الباحثين في السوسيولوجيا الأمريكية الحالية. من كتبه: البراغماتية، الفينومينولوجياوالسوسيولوجيا الأمريكية في القرن العشرين (2008)، ريتشارد رورتي : إنجاز فيلسوف أمريكي (2008). إضافة إلى كتب وبحوث أخرى.

2- ينظر كتاب مارتن فوسنر: هيدغر في أمريكا:

Martin Woessner , Heidegger in America, Cambridge University .Press, New York, first published, 2011, pp 218-222

3- من حوار مع ميشال قبلان بجريدة النهار اللبنانية بتاريخ الأربعاء 19 ماي / آيار 2004.

4Rorty, Essays on Heidegger, P. 43

5 - فقد تتقاطع هذه القصة مع رؤية أحد رواد البراغماتية أقصد وليام جيمس الذي اعتقد بقِدَم البراغماتية والتي يعود بها إلى جذور قديمة وكان قد أهدى كتابه البراغماتية المنشور سنة 1907 إلى جون ستيوارت مل وقال أنه يحق أن يكون زعيما ورائدا للبراغماتيين لو كان في ذلك الوقت حيا.

.6RichardRorty, Essais sur Heidegger et autres écrits, p.45

7. من حوار مع ميشال قبلان بجريدة النهار اللبنانية بتاريخ الأربعاء 19 ماي / آيار 2004.

8Richard Rorty, Essais sur Heidegger et autres écrits, p.45.

9. Richard Rorty, Trotsky et les orchidées sauvages, op.cit., p.p.264.265

10Richard Rorty, Contingence, Ironie et Solidarité, p.171.
11. Richard Rorty, Essais sur Heidegger et autres écrits, p.79 .

12 يصطلح رورتي على الفلاسفة الذين ينتمون إلى التيار الغالب في الثقافة الغربية بالفلاسفة النسقيين (أصحاب الفلسفات النسقية philosophes systématiques (كما يسمي الفلاسفة الهامشيين (أصحاب الفلسفات الهامشية) بالفلاسفة المنشئين .philosophes édifiants

13.RichardRorty, Philosophy and the mirror of nature, p. 368.
14.RichardRorty, Essais sur Heidegger et autres écrits, p.79.
15. Ibid., p.13.

16 عبد الرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1982م.، ص.111.

.17Richard Rorty, Essais sur Heidegger et autres écrits, p.5818.
Ibid., p. 29.

19. Ibid., p.p. 30.32.

20. Richard Rorty, Essais sur Heidegger et autres écrits, p.43.

21.Ibid, p.79.

22.SéverineDenieul, Les raisons d'une fascination: Heidegger, sa réception et ses héritiers, in « l'autre côté », N° 03, 2012, p.5.

23« For the most part the French reception of Heidegger's theory, to begin with as philosophical anthropology and later as postmetaphysical humanism, is systematically mistaken ». Tom Rockmore, Heidegger and French Philosophy, New-York, Routledge, 1995, p. XI.

24.RichardRorty, Essais sur Heidegger et autres écrits, p.78 .
.25Ibid, p.79.

26.Ibid,p.79.